مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/65

رت م د: 1112-685x
رت م د إ: 2588-2236

المجلد: 19 / العدد: 01 / جـــوان 2026
ص ص: 288 ـ 292

السّرد القصصي في ضوء تلقّي المقاربـــة السّيميائيّـة. مقاربـة رشيد بن مـالك أنموذجـا.

Anecdotal narrative in light of receiving the Semitic approach. Rachid ben Malik's approach as amodel.

إكرام عــلاق *
جامعـــة محمّـد لمـين دبّاغـين
سـطيف 2 / الجزائـــر
مخبر مناهج النّقد وتحليل الخطاب.
ik.allag@univ-setif2.dz

محمّد عبد البشير مسّالتي
جامعـــة محمّـد لمـين دبّاغـين
سـطيف 2 / الجزائـــر
مخبر مناهج النّقد وتحليل الخطاب
m.messalti@univ-setif2.dz

تاريخ الارسال: 2025/02/09 تاريخ القبول: 2025/12/19 تاريخ النشر: 2026/06/10

الملخص:

إسترعى السّرد القصصي إنتباه الباحثين والنقّاد، ما دفعهم لوضع آليّات منهجيّة تستنطق معناه، بداية من خارج النّصّ، ثمّ إنتقلوا إلى داخله، قائلين أنّ المعنى يولد من داخل النّصّ نستكشفه عن طريق تحليل لغته، وليس بنسبته إلى محيطه الخارجي، ومن بين ذلك: الآليّات الّتي وضعها غريماس فيما أطلق عليه مسمّى: السّيميائيّات السّرديّة، الّتي تلقّاها النّقد العربي ترجمة وتنظيرا وتحليلا، ومن بينهم النّاقد الجزائري رشيد بن مالك الّذي كان إسمه بارزا من بين الّذين ساهموا في نقل المنهج من وسطه الّذي وُلد فيه إلى الوسط العربي، ومن بين مقارباته: قراءته السّيميائيّة لقصّة العروس لغسّان كنفاني.

ونهدف من خلال هذه الورقة البحثيّة إلى تسليط الضّوء الكاشف على مقاربة بن مالك السّيميائيّة لقصّة ذات ملامح عربيّة، لنرى ما إنْ كان مخلصا للمنهج بشكل كليّ، أمْ أنّه حاول تغيير بعض المبادئ والآليّات لتتناسب وطبيعة السّرد العربي.

وكان من بين النّتائج المتوصّل إليها أنّ بن مالك قد أظهر إتّباعه للمدرسة السّيميائيّة الفرنسيّة، خصوصا نظريّة غريماس، لكنّه ترك تحليله هذا خاليا من تلك المخطّطات الرّياضيّة الّتي تمتاز بها السّيميائيّات السّرديّة.

* **المؤلف المرسل.**

الكلمات المفتاحية: السّرد القصصي، السّيميائيّات السّرديّة، رشيد بن مالك، المقاربة

Abstract:

Critics were interested in The storytelling and prompted to develop methodological mechanisms that question its meaning, starting from outside the text, and then moving inside, saying that the meaning is born from within the text that we explore by analyzing its language, like the mechanisms developed by Grimas the narrative semiotics, which Arab criticism received, translated, theorized and analyzed. Rachid Ben Malik is one of them, we aim to shed light on Bin Malik's semiotic approach to semiotic reading of the story of the bride of Ghassan Kanafani a story with Arab features, to see whether he is faithful to the method completely, or if he tried to change some principles and mechanisms to suit the nature of the Arabic narrative .One of the outcomes was that Ben Malik showed that he followed the French semiotic school, especially Grimas's theory, but left his analysis devoid of the mathematical schemes that characterize narrative semiotics.

Keywords: storytelling, narrative semiotics, Rashid bin Malik, approach

مقدمة:

لقد أصبح الإعتماد على النّظريّات النقّديّة الغربيّة الحديثة والمعاصرة في مقاربة النّصوص السّرديّة العربيّة ضرورة ملحّة أملتها الضّرورة الحتميّة الّتي جعلت من النّص السّردي متغيّرا يواكب تغيّرات العصر وتقلّباته، فبات من الصّعب على المناهج القديمة إستخراج المعنى والإجابة على كلّ أسئلة النّص وإستنطاق الدّلالات الخفيّة الّتي تستلزم إضاءة قويّة تُسلَّط على الكثير من جوانبها الغامضة.

وتعدّ المقاربة السّيميائيّة واحدة من أحدث النّظريّات الغربيّة الّتي تناولت النّصّ السّردي بالدّراسة والتّحليل، خصوصا عند الحديث عن سيميائيّة غريماس، الّتي تبنّاها النّقد العربي بشغف كبير، ولم تكن الجزائر بمعزل عن هذا التّغيير الّذي قلب السّاحة النّقديّة رأسا على عقب، فنجد رشيد بن مالك واحدا من الّذين ساهموا وبشكل كبير في حضور النّقد السّيميائي في السّاحة النّقديّة الجزائريّة، تنظيرا وتطبيقا، ذلك أنّ بعض دراساته تُستهلّ دائما بجانب نظري يتبعه جانب تطبيقي على مختلف النّصوص السّرديّة، إذْ أنّه لم يهمل لا القصّة ولا

الرّواية ولا الحكاية الشّعبيّة أو الخرافيّة، وقد وقع إختيارنا في هذه الورقة البحثيّة على مقاربته لقصّة العروس لغسّان كنفاني.

ونظرا لصعوبة تحليل نصوص بن مالك ذات الطّبيعة الفلسفيّة المعقّدة، خصوصا وأنّ عمليّة نقد النّقد تتطلّب إلماما تامّا بكلّ من المنهج المتّبع من طرف النّاقد، والنّصّ موضوع الدّراسة، أمكن لنا القول أنّ الّذي إتّبعناه هنا هو قراءة على قراءة، أو خطاب على خطاب.

سعت السّيميائيّات السّرديّة إلى الغوص في جزئيّات النّصّ السّردي باحثة عن المعنى الخفي داخله، الأمر الّذي دفع بروّادها إلى وضع خطوات أساسيّة وآليّات تضبط عمليّة القراءة والتّحليل، وعليه فإنّنا نسعى من خلال هذا البحث إلى الموازنة بين التّلقّي الجزائري للمنهج السّيميائي، والآليّات الّتي وضعها القائمون عليه، لنرى مدى وفاء هذا الطّرح العربي -الجزائري خصّيصًا- للمنهج الغربي، أمْ أنّ بن مالك يسعى لتأسيس منهج عربيّ خالص يتوافق وطبيعة النّصّ العربيّة، الّتي تختلف تماما عن نصّ الآخر، وهنا أمكن لنا التّساؤل: هل يمكن دراسة نصّ عربيّ خالص بواسطة آليّات غربيّة وُضعت أساسا لقراءة وتحليل نصّ يتوافق معها؟ وما مدى إلتزام رشيد بن مالك بآليّات هذا المنهج المتّبع؟

وإنّنا نفترض مبدئيّا أنّ النّص ذو خصائص مميّزة تجعله ينتسب لبيئة معيّنة، وأنّ فرض منهج تحليلي عليه يتطلّب بالضّرورة تغييرا في بعض جزئيّات هذا المنهج ليتناسب مع القالب العربي للنّص، أمّا رشيد بن مالك فناقد لا يشقّ له غبار، لكنّ القراءة المتمعّنة لمؤلّفاته تجعلنا نلحظ تبعيّة للخطاب النّقدي الغربي، ويبدو ذلك جليّا من خلال إستعماله لمقاربة غريماس، الأمر الّذي سنستشفّه بعد قراءتنا لمقاربته للقصّة المختارة كأنموذج للبحث.

1. قراءة سيميائيّة في قصّة العروس للرّوائي غسّان كنفاني:

1.1. مقدّمة منهجيّة:

يندرج إختيار بن مالك لقصّة «العروس» كموضوع لقراءة سيميائيّة، ضمن مشروع نقدي يهدف من خلاله إلى "فحص القصّة العربيّة القصيرة وفق إجراءات التّحليل السّيميائي، والنّظر في فعاليّة هذه الإجراءات وإمكانيّة وضعها كقاعدة علميّة تُبنى عليها محاورة النّصوص

ومساءلتها وفهمها فهما يرتكز على تحليل يستمدّ مشروعيّته العلميّة من تحديد موضوع الدّراسة وزاوية النّظر، ومن فرضيّات البحث والتّحقّق منها أثناء الدّراسة"[1].

بمعنى أدق، فإنّ بن مالك يحاول إسقاط آليّات منهج غربي على نصّ عربي أصيل يتمتّع بكلّ خصائص محيطه الّذي ولد فيه، ليرى ما إنْ كانت هذه المناهج صالحة لدراسة نصّ وُلد في بيئة مغايرة لبيئة المنهج أم لا، وكذا ليميّز إمكانيّة جعل تلك المناهج تتناسب ونصوصنا العربيّة في حالة عدم التّوافق بينها.

يرى بن مالك بعد ذلك أنّ الحديث عن علم النّص الأدبي سابق لأوانه، لإعتبارات ثلاث:

أوّلها: يسعى العلم التّجريبي إلى معاينة وتصنيف الظّواهر القابلة للملاحظة، كما أنّه يتميّز بموضوع ومنهج محدّدين ويتأسّس على علاقات موضوعيّة يمكن التّحقّق منها، وهنا كان السّؤال: هل يمكن الحديث عن علم الأدب؟ إنّ الإجابة بـ: نعم، تعني وجود قوانين علميّة صارمة للأدب، ولهذا نجد بن مالك يجيب بشيء من التّحفّظ، خصوصا مع وجود تيّارات نقديّة غربيّة متطوّرة تقف خلف علم الأدب في الفكر النّقدي الأوروبي[2].

ثانيها: تتحدّد الرّؤية المنهجيّة لدعاة علم الأدب على لسان رومان جاكوبسون R. Jakobson في المقولة الآتية: "إنّ هدف علم الأدب ليس الأدب (...) وإنّما أدبيّته، يعني العناصر المحدّدة الّتي تجعل منه عملا أدبيّا"[3].

توضّح هذه النّقطة؛ النّقطة الّتي تسبقها، فعلم الأدب ليس قواعد صارمة وتجربة تؤدّي إلى نتيجة كما في العلوم التّجريبيّة، بل المقصود منها التّميز بين ما هو أدبي وما هو غير أدبي.

وعن هذا يقول بن مالك، أنّ الإشكال يبقى قائما بالرّغم من حسم مسألة موضوع علم الأدب، "ذلك أنّ الأشكال الأدبيّة (صور، أنساق، تنظيمات خطابيّة و/أو سرديّة) لا تملك ما يزكّي خصوصيّتها الأدبيّة الّتي تلتقي مع النّماذج الخطابيّة الأخرى، وفي غياب القوانين أو الإنتظامات البسيطة الخاصّة بالخطاب الأدبي، فإنّ الحديث عن الأدبيّة لا معنى له"[4].

ثالثها: تعدّ بداية الستّنيّات مرحلة حاسمة في التّنظير النّقدي، فهي تشكّل بداية تبلور الرّؤية العلميّة في المجال النّقدي، كما أنّها توّجت بظهور كتاب علم الدّلالة البنيوي لـ: أ.ج. غريماس (A.J Greimas)(لاروس 1966)، والّذي اِعتبره ج.ك. كوكي (J.C. Coquet) بحثا حقيقيّا في السّيميائيّة[5].

"وفي هذه المرحلة، نما الشّعور بضرورة التّفكير في علمنة الممارسة النّقديّة من خلال تحديد المنهج والموضوع وتطويق إشكاليّة البحث، والنّظر في الأصول النّظريّة الّتي تأسّست عليها فلسفة العلم وفي إمكانيّة تبنّي مشروع علمي مبني على فرضيّة التّشاكل (Isomorphisme) بين الصّعيدين التّعبير والمضمون الّتي تجيز لنا تصوّر البنية الدّلاليّة على أنّها تمفصل للعالم الدّلالي إلى وحدات معنويّة دنيا متوافقة مع السّيمات المميزة لصعيد التّعبير، وتتشكّل هذه الوحدات الدّالّة من مقولات سيميّة ثنائيّة بنفس طريقة تشكّل صعيد التّعبير"[6].

يرى بن مالك أنّ دراسته هذه والّتي تندرج ضمن الإطار المنهجي سابق الذّكر، ما هي إلّا قراءة لا تنفي إمكانيّة وجود قراءات أخرى، لكنّها في الوقت نفسه تحاول اِكتناه التّمفصلات الأساسيّة للنّص اِستنادا إلى الهيئة التّلفّظيّة المؤسّسة للفاعل والقنوات الّتي يمرّر عبرها مضامينه، وتعدّ هذه العمليّة أساسيّة في البحث، إذْ بموجبها تدرك اِستراتيجيّات القوى المتصارعة وطموحاتها الّتي تجسّدها البرامج السّرديّة الرّئيسيّة والملحقة، وسيقود هذا المسار التّحليلي في النّهاية إلى فهم الرّهانات السّيميائيّة في القصّة وضبط دورتها الدّلاليّة، ولبلوغ هذا الهدف، اِرتأى الباحث تقطيع النّص إلى مقطوعتين:

الأولى: من (عزيزي رياض) إلى (إنّه محاط بشيء يشبه الغبار المضيء) [7].

الثّانية: من (معك حق، ولكنّي أكتب لك هذه الرّسالة الثّانية) إلى (فلديّ أخبار جديدة عن العروس) [8].

1.2: تحليل الرّسالة الأولى:

جاءت المقطوعة الأولى في شكل رسالة، المرسل فيها هو الرّاوي، والمرسل إليه هو رياض، وقد اِبتدأت بلفظة: عزيزي الّتي تعكس على الصّعيد التّيمي Thymique علاقة تحكمها وصلة حميميّة مكّنت الرّاوي من طلب تنفيذ برنامج سردي رغم اِفتقاره إلى غاية (موضوع القيمة)[9]، الأمر الّذي يوضّحه الملفوظ التّالي: "اِبحث معي حيث أنت عن رجل طويل جدّا، صلب جدّا، لا أعرف اِسمه، ولكنّه يلبس بدلة خاكيّة عتيقة ويلوّح لأوّل وهلة كأنّه مجنون"[10].

يتبوّأ الرّاوي في هذا الملفوظ مكانة مركزيّة، فهو المرسل الّذي يعتمد صيغة الأمر ليؤسّس فاعلا في مشروع سرديّ يستدرج من خلاله رياض إلى قبول العقد ووجوب التّحرّي عن الرّجل، غير أنّ ما يعيب المرسل هنا: اِفتقاره القدرة على التّمييز والمعرفة[11]، فالصّفات الّتي قدّمها عامّة يمكن أنْ تنطبق على أيّ رجل، فكيف لرياض أنْ يميّز المقصود من بين عديد الرّجال ممّن يحملون صفات مشابهة؟

يقول الرّاوي: "ماذا يمكن أنْ نفهم من هذا كلّه؟ لا شيء طبعا، فالمرء يصادف في اليوم الواحد إذا ما سار في الطّريق مائة رجل يحملون هذه الصّفات، فأيّ واحد منهم تراني أقصد؟"[12].

يبدو المرسل مدركا ومعترفا بعدم معرفته الكليّة بجميع الصّفات الّتي تسمح لرياض بمعرفة الرّجل المطلوب وتمييزه فور رؤيته، ما جعل الطّلب غريبا غير معقول، بل أقرب إلى الجنون، وهو الأمر الّذي يصرّح به الرّاوي قائلا: "لقد اِكتشفت أنّه محض جنون أنْ أكتب وأقول لك"[13].

وبِاعترافه هذا يبيّن الرّاوي إدراكه أنّه ينسف علّة وجود الفاعل رياض ومشروع تحرّيه، ومشروعيّة وضعه كمرسل، هذا الشّعور بالاِضطراب قاده إلى ضرورة التّدقيق في الماضي والبحث في ذاكرته عن علامات مميّزة أخرى ترفع الاِلتباس ويحقّق التّواصل مع رياض[14]، فنجده يقول: "ولكن يخيّل إليّ الآن أنّني حين شهدته لأوّل مرّة كان محاطا بما يشبه الضّوء، نعم كان محاطا بشيء يشبه الغبار المضيء"[15].

بالرّغم من أنّ الرّاوي قد أضاف علامة مميّزة جديدة: بما يشبه الضّوء الّتي تحيل وحدتها المضمونيّة على المحيط المضطرب للرّجل، إلّا أنّ بن مالك يرى أنّ الرّاوي لم يملك بعد القدرة على ضبط العلامات المميّزة للرّجل المطلوب، فكلّ الّذي فعله الرّاوي هنا هو أنّه اِنتقل من الحديث عن /الرّجل/ إلى الحديث عن /محيطه/ الأمر الّذي أدّى بالضّرورة إلى فشل مشروع الرّاوي في تبليغ معرفته لرياض وتأسيسه كفاعل في برنامج التّحرّي عن الرّجل[16].

1.3: تحليل الرّسالة الثّانية:

ينتقل الرّاوي في الرّسالة الثّانية من الحديث عن العلامات المميّزة للرّجل إلى مستوى رواية قصّته كاملة، الأمر الّذي يعكس رغبته الملحّة في إقناع رياض بالبحث معه عن هذا الرّجل[17]، فنجده يقول: "معك حق، ولكنّني أكتب لك هذه الرّسالة الثّانية في يوم واحد لتعرف القصّة بكاملها، ذلك أنّني رأيت أنّه صار من حقّك، وقد طلبت منك مشاركتي البحث عنه أنْ تعرف ما أعرفه"[18].

ويرى بن مالك أنّ الرّاوي هنا "يخرج القارئ من منطق العلامات المؤسّسة لكيان الرّجل بوصفه ماهية (من هو) إلى منطق القصّة بوصفها فعلا (ماذا أفعل؟)"[19].

وكأنّ الرّاوي هنا يحاول جعل البحث عن الرّجل أمرا إلزاميّا عن طريق (المعرفة)، فهو يقدّم لرياض المعلومات اللّازمة مقابل تقديم خدمة، وهي أنْ يصبح فاعلا في برنامج التّحرّي، وكأنّه يقول له: أنت تعرف ما أعرف إذا من الواجب عليك مساعدتي في البحث، ومن هذا المنطلق نجد الرّاوي يعود بذاكرته إلى الوراء قائلا: "لست أذكر بالضّبط متى رأيته لأوّل مرّة، لكنّي أذكر تماما كيف رأيته، مثل إنسان ضيّع شيئا"[20].

يعود الرّاوي لأوّل اِتّصال بصري حدث بينه وبين الرّجل الّذي يجسّد وضعه: ملفوظ حالة فصلي disjoncif، فالفاعل (الرّجل) في حالة فصل disjonction عن موضوع القيمة متماه في شيء بدأ ينحسر ويتشكّل تدريجيّا في برنامج سرديّ يرمي الرّجل من خلاله الاِنتقال من الفصل إلى الوصل conjonction الّتي ما هي إلّا البندقيّة الّتي حصل عليها، وسُلِبت منه غدرا وكذبا وخيانة.

"وضع كفّه الكبيرة على كتفي وسأل:

-هل رأيتها؟

-رأيت ماذا؟

-العروس.

وطبعا تيقّنت لحظتذاك أنّه مجنون، وأنّ ما إنتابني أمام عيني القاسيتين هو ما ينتاب أيّ إنسان يجد نفسه هدفا لعيني رجل مخلوع عن العالم والمعقول، لذلك إخترت الهروب الأسهل، فقلت له:

-كلّا، لم أرَ العروس..."[21].

لم يكن الرّاوي يدرك بعد ماهية العروس، كما أنّه لم يلتق بالرّجل من قبل، الأمر الّذي يبرّر له تعجّبه وجوابه بالنّفي واتّهامه للرّجل بالجنون، لكنّ الّذي حدث بعد ذلك غيّر موقف الرّاوي وجعله يحاول التّواصل معه لكن بعد فوات الأوان، يقول الرّاوي: "وعندها سقطت يده من تلقائها إلى جنبه وإستدار، إلّا أنّني سمعته يقول كأنّما لنفسه: كلّكم تقولون هذا، منذ عشر سنوات"[22].

يواصل السّرد قائلا: "... وعبثا حاولت اللّحاق به (...) لقد نقّبت الشّارع صعودا ونزولا، قابلت مئات من الرّجال الّذين يشبهونه ولكنّه هو نفسه كان قد إختفى"[23].

يبدو سلوك الرّجل في المقطوعات السّابقة منطويا على نفسه غير راغب في التّواصل مع مجتمعه، ربّما لأحداث قهريّة تكشفها لنا قراءة القصّة، كما أدّى سلوكه الغريب إلى توتّر من يتعامل معه، ولغرابة سؤاله يختار الطّرف الثّاني الهروب الأسهل، تماما كما حدث مع الرّاوي حيث قال: "ولذلك إخترت الهروب الأسهل، فقلت له:

-كلّا، لم أرَ العروس"[24].

ويعلّق بن مالك على هذه الإجابة بأنّها جافّة تدلّ على عدم رغبة الرّاوي في ربط أواصر الحوار مع الرّجل، الأمر الّذي يعدّ إقصاءً وإساءةً إليه، إذْ أنّه تجاهله ولم يحاول فهم ماهية العروس والعشر سنوات الّتي مضت[25].

يوضّح المسار السّردي بعد ذلك شعور الرّاوي بتأنيب الضّمير ما دفعه للإستعانة برياض وتأسيسه فاعلا مساعدا في مشروع البحث عن الرّجل: "عنه أبحث، وعنه أيضا أطلب منك مشاركتي البحث (...) قبل أنْ أسألك سألت غيرك، لم ألجأ إليك إلّا لأنّني منذ رأيته، ألجأ إلى كلّ من أعرفه، أستوقف كلّ من تربطني به أدنى علاقة وأسأل عنه"[26].

يبدو الرّاوي ملحّا في طلبه، فهو لم يلجأ لرياض وحده، بل لكلّ معارفه، ذلك أنّ مشروع التّحرّي quête الّذي أقامه والّذي نصّب نفسه فاعلا فيه، يقوم على إستراتيجيّة الإتّصال المتدرّج بالمعارف القريبة والبعيدة[27].

تأخذ القصّة بعد ذلك منحى آخر، يتغيّر فيه موضوع الرّغبة objet de désir لدى الرّاوي: "إذا كان ذلك الرّجل قد دأب على سؤال النّاس على العروس منذ عشر سنوات كما قال، فإنّ الشّيء المؤكّد تماما أنّ كثيرا من أولئك النّاس الّذين سألهم ينتابهم الآن ما ينتابني، وكنت أسير ذات يوم في الطّريق ودون أنْ أعرف ما الّذي أنوي عمله (...) مضيت إلى الرّجل وسألته:

-هل رأيت العروس؟"[28].

يرى الرّاوي من خلال تأويله الشّخصي أنّ كلّ شخص سأله الرّجل عن العروس، يحسّ بما يحسّ به هو الآن من تأنيب الضّمير ورغبة جامحة في البحث عنه، وإقتناع بوجوب معرفة حقيقة العروس.

يقول الرّاوي مواصلا سرده للأحداث: "الآن دارت الدّورة أو أنا الّذي درتها، لابدّ من أنْ أعود إلى نقطة البدء، إلى ذلك الرّجل المحاط بما يشبه النّور والّذي من شفتيه (...) سمعت ذلك السّؤال لأوّل مرّة في حياتي، نعم يا رياض لابدّ لي من رؤيته... فلديّ أخبار جديدة عن العروس"[29].

يبيّن هذا الملفوظ السّردي تحوّلا جذريّا على مستوى كفاءة الرّاوي، نقله من اللّا معرفة إلى المعرفة Savoir، "المتشكّلة من الأخبار الجديدة عن العروس، فهو يريد –إستنادا إلى هذه

الكفاءة compétence-أداء رواية قصّة الرّجل والعروس من بدايتها إلى نهايتها، رغبة منه في إقناع رياض بوجوب التّحرّي عن الرّجل"[30].

أيْ أنّ الرّاوي هنا يعتمد على معرفته الجديدة، كحجّة يقنع بها رياض بضرورة البحث عن الرّجل، فالعروس الّتي لم يكن يدرك حتّى ماهيتها، أصبح الآن يمتلك معلومات جديدة عنها، ما يجعل البحث ضروريّا، ليخبره بهذا الجديد.

وتبدأ القصّة: "كان من قرية (شعب) شابّا لم يكن قد ضيّع شيئا بعد، ولكنّه لم يكن عند ذاك قد وجد أيّ شيء أيضا"[31].

يوضّح هذا الملفوظ اِنتماء القرية الجغرافي إلى شعب، ومن منظور سوسيو سياسي نجد رشيد بن مالك يفترض أنّ "صورة /شعب/ فضلا عن كونها تحمل سمة تمايز هذه القرية عن باقي القرى، قد تدلّ أيضا على الجماعة الكبيرة الّتي تتكلّم لسانا واحدا وتخضع لنظام اِجتماعيّ واحد تكون فيه المواطنة حقّا شرعيّا"[32].

أمّا فيما يخصّ الشّاب الّذي ينتمي إلى قرية شعب، فهو يحتلّ موقع فاعل حالة Sujet d'état ويتحدّد على صعيد الملك avoir، فهو وإنْ لم يضيّع شيئا ولم يجد شيئا، إلّا أنّه في وصلة بشيء نكرة[33]:

-"لابدّ أنّ قصّة قد بدأت في يوم من أيّام حزيران الأولى عام 1948، كان القتال الدّموي قد اِستمرّ دون اِنقطاع طوال أكثر من ستّة أشهر"[34].

-"فقد تركّز القتال بصورة جادّة في الجليل..."[35].

تحيل هذه المقاطع السّرديّة إلى أنّ تاريخ القصّة وفضائها النصّي يعودان إلى بدايات الصّراع العربي الإسرائيلي، الّذي تنعكس تجلّياته في وضع مضطرب (حرب) يدخل في ثنائيّة ضديّة مع وضع مستقرّ سابق (سِلم): وتجسّد هذه الثّنائيّة مرحلتين متمايزتين:

-قبل 1948 (عكس) بعد 1948.

حيث أنّ الشّاب في المرحلة الأولى يكون في حالة وصل مع الملك (أرض فلسطين)، أمّا في المرحلة الثّانية فهو في حالة فصل عنه.

ومن هنا يلاحظ بن مالك أنّ الشّيء النّكرة المتحدّث عنه سابقا قد أصبح معرفة الآن، وهو الّذي سيمثّل موضوع القيمة[36].

"وكان هو -وأنا ما زلت أجهل إسمه-سيّد الّذين يندفعون إلى القتال، هجوما كان أم نجدة أم دفاعا، إلّا أنّه كان يشترط أنْ يعرف موعد العمل بساعتين على الأقل، كي يكون أمامه متّسع من الوقت للتّفتيش على من يقبل أنْ يعيره سلاحا"[37].

يمثّل القتال الدّموي فعلا تحويليّا، يرمي من خلاله العامل الجماعي إلى تحرير الأرض الفلسطينيّة، "ويجسّد الشّاب في هذا الفعل صورة/السيّد الّتي تعكس وحدتها المضمونيّة كفاءته المتجلّية في معرفته العسكريّة وقدرته على توقّع وبرمجة العمليّات الضّروريّة (الهجوم، النّجدة، الدّفاع) لتحقيق برنامج سردي يعدّ فاعلا ديناميّا فيه ويكون الهدف منه إسترجاع موضوع القيمة"[38].

ولينجز الفاعل هذه الغاية لابدّ من برنامج سرديّ وسيط، يجعله في حالة وصلة بالسّلاح، فمن غير المعقول أنْ يمضي الشّاب إلى معركة دون أنْ يتسلّح، دفاعا عن نفسه، وأداة للهجوم وتحقيق النّصر، وبتعبير بن مالك فإنّ الفاعل هنا يؤدّي "دورين متنافرين يعقّدان مهمّة فكّ الحصار: البحث عن السّلاح متزامن مع المواجهة الدّمويّة"[39].

"لم أعرف بعد من الّذي زرع في رأسه، في أحد تلك الأيّام الأولى من حزيران، أنّ عليه الحصول على السّلاح وكان هذا الرّأي سليما تماما، فقد تركّز القتال بصورة جادّة في الجليل، وألقى العدوّ ثقله هناك، وإبتدأت أنهار المهاجرين تسيل في التّلال نحو الشّمال، وبدا كلّ شيء وكأنّه يقف على الحافّة"[40].

إستوفاءً لبقيّة عناصر التّرسيمة العامليّة، نجد هذه المقطوعة السّرديّة تؤكّد وجود هيئة غير محدّدة نصيّا تحتلّ موقع المرسل، تحفّز الفاعل وتقنعه بضرورة إقتناء السّلاح، كما أنّ هذا المشهد الّذي تجسّده لنا المقطوعة يعكس برنامجين:

أ: البرنامج السّردي للعدو، الّذي توّج أداءه العسكري بهيمنته على فضاء الجليل وإكتساح أهله.

ب: برنامج هروب ونزوح العامل الجماعي نحو الشّمال طلبا للنّجاة.

وفي خانة المعارض نجد بن مالك يعدّ عجز القيادة منعا لتنفيذ البرنامج العسكري ومعارضة لإرادة العامل الجماعي[41].

"لاشكّ أنّه كان أصلب من أنْ يتردّد كثيرا (...) كان عقد عزمه بصورة ليس بالوسع زحزحتها، لقد سلّم سلاحه (...) لأحد رفاقه ومضى يزحف تحت غيوم راعدة من النّار، كان على يقين بأنّ بعض جنود العدوّ في خطوطهم الأماميّة قد قُتِلوا، وأنّه لو اِنتظر إلى نهاية المعركة لفقد فرصته، كان يعرف أنّهم يسحبون جنودهم بالجبال بعد اِنتهاء القتال"[42].

في هذه المقطوعة السّرديّة نجد أنّ ضمير الغائب "هو" الّذي يعود على الرّجل هو الفاعل في برنامج ملحق، "يهدف إلى الدّخول في وصلة بالسّلاح قصد دفع المضرّة وإعادة التّوازن للوضع المضطرب الّذي نتج عمّا ألقاه العدوّ من ثقل في المعركة"[43].

وبِاستغنائه عن السّلاح يعلن الرّجل اِستقلاليّة عن أيّ مرسل خارجي، وأنّه سيّد قراره، وبِاجتماع عدّة مؤهّلات فيه (أصلب... عقد عزمه... يزحف... كان على يقين) أثبت كفاءته الحربيّة وخبرته بشؤونها.

"وقد اِستطاع أنْ يصل الفعل إلى الخنادق المحروقة (...) وبأسنانه فكّ يد القتيل عن بندقيّته ومضى عائدا إلى رفاقه، وسرى الخبر في كلّ القرى (...) ليس لأنّها كانت الحادثة الأولى من نوعها ولكن لأنّ البندقيّة الّتي جاء بها كانت بندقيّة نادرة، واِنحنى الواقفون ينظرون إلى البندقيّة الجديدة (...) كان ذراعها ذا لون بنّي كامد وكان حزامها الخاكي جديدا تماما، مجدولا بعناية لا تصدّق وكان مشطها يعلو كأنّه التّاج"[44].

أنجز الفاعل في فضاء العدوّ أداءً مكّنه من الإنتقال من وضع اليأس والإفتقار إلى السّلاح إلى وضع يملأه الأمل حقّق فيه الفاعل وصلته بالبندقيّة الّتي تشكّل موضوعا يمارس عليه الفاعل الجماعي تأويله، فبالنّظر إلى بعض المصطلحات المذكورة: الذّراع، الحزام، التّاج، يخيّل للمتلقّي أنّ المتحدّث عنها عروس وليست بندقيّة، هذه العروس الّتي شكّلت موضوع

تحرّي الرّجل في بداية النّص ونقطة تقاطع بين هذه الوضعيّة السّرديّة الّتي دخل فيها الرّجل في وصلة بموضوع القيمة (البندقيّة/العروس) والوضعيّة اللّاحقة الّتي اِنفصل فيها عنها[45].

لقد عُرفت الآن ماهية العروس، وأصبح المتلقّي يعلم أنّها البندقيّة الّتي كان الفاعل في حالة وصل معها، لكنّ ذلك لم يدم طويلا مع الأسف، الأمر الّذي توضّحه المقاطع السّرديّة التّالية:

☜ "لقد أستدعي في اليوم التّالي إلى القيادة (...) كان الضّابط قد سمع عن البندقيّة، وحين شهدها أمامه بين كفّي الرّجل فتح عينيه على وسعهما:

-هذه مرتينة شيكيّة.

-يجب أنْ آخذ هذه المرتينيّة إلى القيادة.

وكي يطمئنّ على بندقيّته أقسم له الضّابط أنْ يعيدها له بأمشاط إضافيّة خلال يومين"[46].

يشير بن مالك إلى أنّ الضّابط هنا يمارس فعله الإقناعي لإثارة فعل تأويلي إيجابي لدى الرّجل، ليأخذ منه موضوع القيمة (البندقيّة)، وقد وُفّق في ذلك فعلا واِستولى على البندقيّة، لكنّه لم يكن وفيّا لكلمته وخرق أحد شروط العقد، إذْ أنّه باع البندقيّة متجاهلا الوعد الّذي قطعه[47]، الأمر الّذي يوضّحه المقطع السّرديّ الآتي:

-"من حلالي اِشتريتها أمس أمام خمسة شهود من ضابط باعها لي...

-دفعت بها مئة جنيه مهر اِبنتي الوحيدة، لقد رفضت كلّ عمري أنْ أزوّجها لذلك العجوز النّتن (...) لقد دفع مئة جنيه، دفعتها بعد ربع ساعة فقط ثمنا لهذه التّشيكيّة"[48].

يحقّق الضّابط بالاِعتماد على الخيانة برنامجه السّردي المتمثّل في الحصول على البندقيّة وبيعها لتنمية ثروته، في الوقت الّذي يفشل فيه الرّجل من تحقيق برنامجه السّردي الأساسي المتمثّل في الدّفاع عن فلسطين ومحاربة العدو، الأمر الّذي لخّصه بن مالك في المقابلة الثّنائيّة الضدّيّة الآتية:

وفاء عكس خيانة.

ومنذ ذلك الحين والرّجل يبحث عن البندقيّة من مكان لآخر، تتقاذفه الإشاعات دون أنْ يحقّق غايته، الأمر الّذي توضّحه المقاطع السّرديّة الآتية:

-"مرّ اليومان ومرّ الأسبوع (...) من مركز القيادة إلى الدّار ومن الدّار إلى مركز القيادة...

-إنتظر الآن وتعال غدا.

-قيل له إنّ الضّابط قد نقل مركز قيادته إلى الشّمال حيث لا يعرف أحد.

-في طول ما تبقّى من الجليل مضى ليل نهار يبحث عن بندقيّته:

-من قرية إلى أخرى ومن مقاتل إلى آخر.

-لقد مضى هو صعودا (...) إلى البروة ومن هناك إلى مجد الكروم، إلى البعنة، إلى دير الأسد، إلى كسره، إلى كفر سميع، متعقّبا أخبار بندقيّته خطوة خطوة، من قصّة إلى أخرى ومن رجل إلى آخر[49].

-ولكنّه هو في ترشيحا، كان يشمّ بندقيّة قريبة كأنّها في متناول يده[50].

-وقيل له يومها إنّ بندقيّة تشيكيّة جديدة شوهدت مع رجل عجوز[51].

-وراء أخبار البندقيّة من باب إلى باب قيل له إنّ العجوز الّذي شوهد يحملها قد مضى ربّما ليلتحق بالمقاتلين[52].

-ولكنّ الّذي أدريه هو أنّه، تلك الظّهيرة القائظة، شاهد بندقيّته على كتف رجل في السّاحة (...) شدّها إليه وهي لما تزل معلّقة على كتف الرّجل"[53].

I النتائج والتوصيات:

بعد القراءة الفاحصة لمقاربة بن مالك لقصّة العروس، أمكن لنا إستخلاص مجموعة من النّتائج، نذكرها:

-أوّل ملاحظة أمكن لنا إستكشافها هي أنّ رشيد بن مالك يشرح النّصّ ولا يحلّله وفقا للمنهج السّيميائي، الأمر الّذي يوضّحه الغياب التّام لترسيمة غريماس سواء النّموذج العاملي، أو المربّع السّيميائي، والحديث هنا عن مقاربته لقصّة العروس دون غيرها.

-بالرّغم من اِستعماله لمعجم ثريّ بالمصطلحات السّيميائيّة (الكفاءة، الملفوظ، الفاعل، المقطوعة السّرديّة، حالة الوصل، حالة الفصل، موضوع القيمة...إلخ)، الأمر الّذي يوهم القارئ للوهلة الأولى أنّ بن مالك قد طبّق المنهج السّيميائي وفق نظريّة غريماس، لكنّه في حقيقة الأمر كان شارحا أكثر منه محلّلا.

-تُظهر مقاربته تبعيّة واضحة للخطاب النّقدي الغربي، إذْ أنّه لم يخرج عن مصطلحاته الّتي وضعها كمفاتيح تحليليّة، فأضحت مقاربته خطابا عربيّا يحيل على خطاب غربي، ولا يمكن فهم مقاربة بن مالك فهما منصفا دون العودة إلى هذا الخطاب النّقدي الغربي واِستيعابه.

-لم تكن مقاربات بن مالك للنّصوص السّرديّة العربيّة لولا وجود خطاب نقدي غربي يستقي منه مصطلحاته وآليّاته.

-اِعتمد رشيد بن مالك على التّقطيع، وهو إحدى آليّات السّيميائيّة السّرديّة، وفي هذه القصّة تحديدا كان التّقطيع جاهزا من القصّة نفسها، حيث قسّمها المؤلّف إلى رسالة أولى ورسالة ثانية، وقد وُفّق بن مالك في هذا الاِختيار، إذْ تمثّل الرّسالة الأولى مرحلة اللّا معرفة، إذْ لم يكن الرّاوي يدرك ماهية العروس، في حين مثّلت الرّسالة الثّانية مرحلة المعرفة، إذْ أصبح الرّاوي عارفا لماهية العروس.

-اِقترب بن مالك من السّياقيّة واِبتعد عن النّسقيّة الّتي تفرضها آليّات المنهج السّيميائي، ذلك أنّه اِعتمد على الحالة الاِجتماعيّة المحيطة بالقصّة في الوصف والشّرح.

II قائمة المصادر والمراجع:

أ: باللّغة العربيّة:

- رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّات السّرديّة، دار القصبة، الجزائر، 2000.

-غسّان كنفاني، عالم ليس منّا، مؤسّسة الأبحاث العربيّة، بيروت، 1980.

ب: باللّغة الأجنبيّة:

-A.J. Greimas. J. Courtès, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, Paris.

-J. Cortès, Introduction à la sémiotique narrative et discursive, Hachette, Paris.
R. Jakobson, Questions de poétique, Seuil, Paris, 1973-

([1]) رشيد بن مالك، مقدّمة في السّيميائيّات السّرديّة، دار القصبة، الجزائر، 2000، ص49.

([2]) يُنظر: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص، ص49، 50.

([3])R. Jakobson, Questions de poétique, Seuil, Paris, 1973, p17.)

نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص50.

([4])A.J. Greimas. J. Courtès, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, Paris, 1979.)

نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص50.

([5]) يُنظر: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص50.

([6])J. Cortès, Introduction à la sémiotique narrative et discursive, Hachette, Paris, 1976, p40.)

نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص51.

([7]) غسّان كنفاني، عالم ليس منّا، مؤسّسة الأبحاث العربيّة، بيروت، 1980، ص، ص151، 152.

([8]) القصّة، ص 152-163.

([9]) يُنظر: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص، ص51، 52.

([10]) القصّة، ص151، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص52.

([11]) يُنظر: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص52.

([12]) القصّة، ص151، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص52.

([13]) القصّة، ص151، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص52.

([14]) يُنظر: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص52.

([15]) القصّة، ص151، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص53.

([16]) يُنظر: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص53.

([17]) يُنظر: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص53.

([18]) القصّة، ص152، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص53.

([19]) رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص53.

([20]) القصّة، ص، ص152، 153، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص54.

([21]) القصّة، ص، ص152، 153، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص54.

([22]) القصّة، ص153، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص55.

([23]) القصّة، ص153، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص55.

([24]) القصّة، ص153، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص55.

([25]) يُنظر: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص55.

([26]) القصّة، ص، ص153، 154، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص56.

([27]) يُنظر: رشيد بن مالك، 2000، المرجع نفسه، ص56.

([28]) القصّة، ص154، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص56.

([29]) القصّة، ص154، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص، ص56، 57.

([30]) رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص57.

([31]) القصّة، ص، ص154، 155، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص57.

([32]) رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص57.

([33]) يُنظر: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص57.

([34]) القصّة، ص، ص154، 155، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص57.

([35]) القصّة، ص، ص154، 155، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص57.

([36]) يُنظر: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص58.

([37]) القصّة: ص155، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص58.

([38]) رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص58.

([39]) رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص59.

([40]) القصّة، ص155، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص59.

([41])يُنظر: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص، ص59، 60.

([42]) القصّة، ص، ص155، 156، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص60.

([43]) رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص60.

([44]) القصّة، ص156، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص61.

([45]) يُنظر: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص61.

([46]) القصّة، ص157، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص61.

([47]) رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص62.

([48]) القصّة: ص، ص161، 162، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص62.

([49]) القصّة، ص158، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص63.

([50]) القصّة، ص159، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص63.

([51]) القصّة، ص159، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص63.

([52]) القصّة، ص160، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص63.

([53]) القصّة، ص160، نقلا عن: رشيد بن مالك، المرجع نفسه، ص64.